

العلمانية والإسلام - دراسة مقارنة -

Secularism and Islam - comparative study -

تاريخ النشر: 2020/06/30	تاريخ القبول: 2020/06/16	تاريخ الارسال: 2019/08/25
-------------------------	--------------------------	---------------------------

*د. ميلاس محمد الزين

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

millassezine@hotmail.com

ملخص:

كانت غزوة بونابرت (1769 – 1821) لمصر ، مثلت بداية الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لوطن العروبة _ قلب العالم الإسلامي _ بعد أن التف هذا الاستعمار حول هذا العالم خلال 4 قرون ، فإن هذه الغزوة قد تميزت عن سابقتها الصليبية (1096 – 1291 م) باستهدافها احتلال العقل ، واستبدال الفكر وتغيير الهوية مع احتلال الأرض ، ونهب الثروة واستعباد الانسان ! فكانت العلمانية واحدة من الوافد الغربي في ركاب الغزاة. وللمرة الأولى تترجم الكلمة الفرنسية laïque بكلمة "علماني" في المعجم الفرنسي العربي الذي صدر سنة 1828 ، والذي وضعه " لويس بُقطر المصري " الذي خدم جيش الاحتلال الفرنسي بمصر ثم رحل معه ، ليدرس العامية المصرية في مدارس باريس ترجمت " اللاتينية " بالعلمانية ، من العلم نسبة إلى "العالم" باعتباره الدنيا المقابلة للدين¹.

وفي كل موقع من بلاد الإسلام أقام فيه الاستعمار الغربي سلطة ودولة ، أخذ هذا الاستعمار _ شيئاً فشيئاً _ يحل النزعة العلمانية في تدمير الدولة و حكم المجتمع وتنظيم العمران محل (الإسلامية) وبزوغ القانون الوضعي العلماني حيثما يقتلع شريعة الإسلام وفقه معاملاتها .

الكلمات المفتاحية : الإسلام ، العلمانية ، الأصالة ، التغريب ، التطرف ، العنف ، الحقد ، الكراهية .

*المؤلف المرسل : ميلاس محمد الزين

Abstract :

The conquest of Egypt by Bonaparte (1769-1821) represented the beginning of the modern Western colonial invasion of the Arab nation, the heart of the Islamic world. After the colonization of this world for four centuries, this conquest differed from the previous Crusades (1096-1291 AD) by its conquest of the mind, the replacement of thought and identity, the occupation of the land, the looting of wealth and the enslavement of the human Being. Laity was one of the new Western terms of the invaders. For the first time the French term 'laïcité' was translated into 'العلمانية' in the French-Arabic dictionary issued in 1828 by the Egyptian 'Louis Bukter' "who served the French occupation army before he went to France to study the Egyptian dialect in Paris schools to translate "laity" into 'العلمانية' that is related to the "world" as the opposite of religion. In any country of Islam where Western colonialism establishes power and state, laity gradually attempts to destroy the Islamic societies and states and root out Islamic rules and law.

Keywords: Islam; laity; originality; Westernization; extremism; violence; hatred.

مقدمة : _ العلمانية في ركاب الغزوة الاستعمارية _

وفي كل موقع من بلاد الإسلام أقام فيه الاستعمار الغربي سلطة ودولة ، أخذ هذا الاستعمار _ شيئاً فشيئاً _ يحل النزعة العلمانية في تدمير الدولة و حكم المجتمع و تنظيم العمران محل (الإسلامية) و بزوغ القانون الوضعي العلماني حيثما يقتلع شريعة الإسلام وفقه معاملاتها.

ففي الجزائر وتونس ، أخذ الاستعمار الفرنسي في إحلال القانون الوضعي العلماني محل الشريعة الإسلامية وقانونها ، وكذلك صنعت إنجلترا بمصر بعد أن احتلتها ، وعن هذا الغزو القانوني بالوافد العلماني يحدثنا عبد الله النديم (1261-1313 هجري 1845-1869 ميلادي) فيقول : " إن دولة من دول أوروبا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاستيلاء ، و إنما تدخل باسم الإصلاح وبث المدنية ، وتنادي أول دخولها بأنها لا تتعرض للدين ولا للعادات ، ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً كما تفعل فرنسا في الجزائر وتونس ، حيث سنت لهم قانونا فيه بعض المواد تخالف الشرع الإسلامي ، بل تنسخ مقابلها من أحكامه ، ونشرته في البلاد ، واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم ، ولما لم تجد معارضا أخذت تحول كثيرا من مواده إلى مواد ينكرها الإسلام ، توسيعا لنطاق المسخ الديني. ولم نلبث أن جاريناها في "مصر" و أخذنا بقانون يشبهه " ²

الإشكالية :

إلى متى يستمر العلمانيون المتطرفون وبعض أشباه الإسلاميين في تحدياتهم للإسلام ؟

المبحث الأول : القانون العلماني والمؤامرة لمسح شريعة الإسلام

إن القانون العلماني الوضعي ، لا يضبط المنفعة بالشرع ولا يحكم حقوق الانسان بحقوق الله وحدوده ، جاءت الغزوة الاستعمارية الغربية إلى بلاد الإسلام بمفهوم الحرية الإنسانية المتحررة من الضوابط الشرعية ، و المؤسسة على أن الإنسان هو سيد العالم ومرجع التدبير للعمران ، وليس على المفهوم الإسلامي للاستخلاف ، الذي يضبط حرية الخليقة بالشرعية الإلهية التي هي معالم التدبير الإلهي للاجتماع الإنساني وفيها بنود عقد وعهد الاستخلاف الإلهي للإنسان يقول عبد الله النديم في نقده للعلمانية : " إن الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق ، والوقوف عند الحدود وهذا الذي نسمع به ونراه رجوع إلى الهيمنة وخروج عن حد الإنسانية. إنها حرية مدنية ينفر منها الهيم ... وهذه الإباحية لا تناسب أخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم ، وهي لا توافق عادات أهل الشرق ولا أديانهم ، والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الأمة من غير أن يجنى أو يُغرى بالجناية عليها مما يبيحه من الأحوال المحظورة عندها ."³

بل إن تسلل القانون العلماني الغربي ، و اختراقه لمؤسساتنا القضائية والتشريعية قد سبق أحيانا الاحتلال العسكري المباشر ، والسلطة التشريعية السافرة ، وذلك عندما رافق تزايد النفوذ الاستعماري في بلادنا وتضخم الجاليات الأجنبية فيها فكان تسله هذا تمهيدا للاحتلال و الاستعمار ففي مصر على عهد الخديوي سعيد في سنة 1855 تم إنشاء محكمة تجارية (مجلس تجار) مختلط من المصريين والأجانب ، ليقضي في المنازعات التجارية التي يكون الأجانب طرفا فيها ومن هنا بدأ الإختراق العلماني لمؤسسة القضاء⁴ ومع تزايد النفوذ الأجنبي ، أصبحت للأجانب الأغلبية في عضوية محكمة " قومسيون مصر " 3 مصريون و 4 أجانب.⁵

المطلب الأول : الأصول الإسلامية لرفض العلمانية

إذا كان التصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية وهو "الخلق" دون الرعاية والتدبير للعالم والطبيعة والعمران الإنساني ، وهو التصور الذي لم يناقضه التصور النصراني الذي ترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله دون تدخل من الله ، فيما لقيصر والذي دعمته فلسفة التشريع الرومانية التي جعلت مقاصد التشريع تحقيق " المنافع والمصالح الدنيوية " ، دون ما ربط لها بالأخلاقيات الدينية والقيم الإيمانية أو السعادة الأخروية .

إن العلمانية التي تعزل السماء عن الأرض ، وتحرر العمران الإنساني من الضوابط الدينية وتطلق الحرية للإنسان في سياسة المجتمع كسيد للكون ... إن هذه العلمانية هي الأقرب للتصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية ولدعوة النصرانية أن تترك ما لقيصر لقيصر وفلسفة التشريع الروماني في تحرير القانون من القيم الإيمانية والمقاصد الشرعية.

فالتصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية يتعدى حدود الخلق للمخلوقات إلى حيث يكون الله - سبحانه وتعالى- أيضا الراعي والمدبر لكل عوالم وأمم وعمران المخلوقات.⁶

المطلب الثاني : المتغربون العلمانيون

أما الذين انهروا من المثقفين المحدثين بالعلمانية الغربية ، فتبنوها ، ودعوا إلى سلوك طريقها في نهضتنا ، كما حدث للغربيين في نهضتهم ، وقالوا عن علاقة الدين بتدبير الدولة و المجتمع والعمران : " يا بُعد ما بين السياسة والدين "7، " وإن السياسة شيء والدين شيء آخر... وأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الأوطان "8.

لقد "ضُربت" عقولهم في مصانع الفكر الغربي ، فقالوا : إن العقل الشرقي هو كالعقل الأوروبي مرده إلى 3 عناصر:

- 1- حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن .
- 2- حضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه .
- 3- المسيحية وما فيها من دعوة إلى الخيروحث على الإحسان .

وكما لم يغير الإنجيل من الطابع اليوناني للعقل الأوروبي ، فكذلك القرآن لم يغير من الطابع اليوناني للعقل الشرقي ، لأن القرآن إنما جاء متمما ومصدقا لما جاء في الإنجيل.⁹ وإن الحضارة العربية والحضارة الفرنسية يقومان على أساس واحد هو في نهاية الأمر الحضارة اليونانية اللاتينية.¹⁰

لقد شوهت المناهج الغربية رؤاهم ، وزيفت وعيمهم ، فرؤوا إسلامنا نصرانيةً ، وخلافاتنا كهانةً وقرآنا إنجيلا وشريعتنا قانونا رومانيا ، ومن ثم رؤوا أن " الحل العلماني " هو طريقنا إلى النهوض كما كان حاله في سياق النهضة الأوروبية الحديثة وإذا كان هذا

التغريب أمراً قابلاً للتفسير دون التبرير فإن الأمر الذي يبلغ في الغرابة حد الكارثة هو الموقع الذي قادت إليه العلمانية بعضاً من مثقفينا الذين تمذهبوا بمذهبها موقع التبعية للحضارة الغربية الغازية ، والولاء للمركزية الغربية العنصرية ، بل وإعلان التسليم والاستسلام لإرادة الغرب في استيلائنا واحتوائنا وإحاقنا بنموذجه الحضاري في " الإدارة ، والحكم والتشريع " .

وهذا طه حسين يقول : " لقد التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم ، ونسير سيرتها في الإدارة ، ونسلك طريقها في التشريع ، التزمنا هذا كله أمام أوروبا ... التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سندسير سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع " ¹¹ .

وإذا كان الدكتور طه حسين قد تجاوز هذا الانهيار بالغرب والالتزام بما سعت أوروبا إلى إلزامنا به ¹² ... فإن كلماته هذه تذكرنا بكلمات موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغاني ، التي يقال فيها : " لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المنتحلين أطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها ... و طلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات ، يمهّدون لهم السبيل ، ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم " ¹³ .

فإسلامية الدولة ، وإسلامية القانون ، فضلاً على أنهما من فرائض الإسلام ، فإنهما من معالم الاستقلال الحضاري للأمة الإسلامية ولديار الإسلام.

المطلب الثالث : اختلاف النظرة إلى العلمانية

اختلفت النظرة إلى العلمانية عند الكتّاب والمصلحين الذين تناولوها. وذلك تبعاً للمواقع الفكرية التي انطلقوا منها ، والأهداف التي سعوا وراءها. فالمطران غريوار حداد المعروف بدعوته إلى اعتماد نظام العلمنة في لبنان يحدد " العلمانية " بأنها (أولاً نظرة شاملة للعالم ، بمعنى الكون كله أي مجموعة الكائنات ، وهذه النظرة الشاملة تؤكد استقلالية العالم بكل مقوماته وأبعاده وقيمه اتجاه الدين. أي مثلاً : استقلالية الدولة والمجتمع و مؤسساتهما ، وقوانينهما ، وقضائيهما وسلطاتهما عن المؤسسات والقوانين والسلطات الدينية. ¹⁴ و يمضي المطران حداد في شرح معنى الاستقلالية ، فيقول : الاستقلالية تعني أن هناك قيمة ذاتية فعلية للعالم والمجتمع والإنسان وقضائيه غير مستمدة من الدين والقيمة الدينية ⁽²⁾ ، أما الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، فيتناول

العلمانية من وجهة نظر اسلامية ، رافضة لها ، فيصفها بأنها " نهج حياتي مادي تكون نتيجة لنمو الفلسفات المادية اللادينية ، وهي النهج الحياتي الذي يستبعد أي تأثير أو توجيه ديني على تنظيم المجتمع والعلاقات الانسانية داخل المجتمع).¹⁵

والعلمانية في قاموس ليتري هي غياب كل المظاهر الدينية من النظم السياسية ، إنها مفهوم يرتكز على الفصل التام بين المجتمع الديني والمجتمع المدني.¹⁶

ويضع ياسين الحافظ ، المتأثر بالفكر الأوروبي بشقيه الغربي والماركسي ، إطارا تاريخيا لمصطلح العولمة ، فيربط نشأته في الغرب بسيطرة العقل على توجيه المجتمعات وبظهور القومية كإطار اجتماعي-سياسي لشعوب أوروبا. يقول بهذا المعنى أن (العلمنة كما نشأت في الغرب هي إحدى التظاهرات الفرعية لعقلنة المجتمع فضلا عن أنها نتيجة من نتائج قومنة المجتمع).¹⁷

الفرع الأول : نشأة مفهوم العلمانية وتطوره

كلمة العلمانية وضعت عند العرب في أواسط القرن التاسع عشر في مقابل "laicism" بالفرنسية أو "secularism" بالانجليزية .

وكلمة "laic" موجودة من القرن الثالث عشر ولكنها استعملت بكثرة بعد القرن السادس عشر. وهي تعني الشخص الذي لا ينتمي إلى رجال الدين.

ومنذ البدء ، أعطت الكنيسة المؤمنين العاديين اسم "laikos" بينما تسمية "clerikos" ارتبطت بالأساقفة والكهنة والرهبان ، ومنها اشتقت كلمتا "clerc, clergé" في القرن الثامن عشر وبقيت تدل على رجال الدين حتى اليوم.¹⁸

ومفهوم العلمانية نشأ في أوروبا وفي فرنسا بوجه خاص ، وتطور ليصبح فكرة سياسية تولدت عن فصل الكنيسة عن الدولة وبنتيجة هذا الفصل ترتب على الدولة أن لا تمارس أي سلطة زمنية أي سياسية. فالدولة بهذا المعنى مستقلة في شؤونها الزمنية تعالجها في ضوء العقل ، وليس بواسطة دين وهي محايدة اتجاه جميع الأديان.

منذ عهد قريب أخذ بعض الكتّاب يتشبهون بمن يؤلف على طريق البحث العلمي ، فقالوا ما شاءوا أن يقولوا ، وخرجوا بغير مناسبة منطقية إلى إنكار أن يكون للإسلام مدخل في الشؤون القضائية والمعاملات المدنية.

جال هذا الصوت جولة الباطل ثم ذهب كصيحة في واد ولم يبق له صدى إلا في آذان رهط لا يسمعون رشدا ولا يفقهون حجة ، وإن شئت فقل : صادف ذلك الصوت أفئدة هواء ، فجعلوا يحاكونه في بعض ما يكتبون ، ويوقظون فتنا لو أقبل كلُّ على ما يحسن أن يتحدث فيه لكانوا عنها في شغلٍ .

ما كدنا ننتمي من إمالة أذى الذي ادعى أنه يفسر القرآن ، حتى خرجت إحدى المجلات تحمل مقالا تحت عنوان " داء الشرق و دواؤه " ، وفي هذا المقال دعاية إلى فصل الدين عن السياسة ، وبلغ بكاتبه الحال أن زعم ان سبب تأخر المسلمين عدم فصلهم للدين عن السياسة.¹⁹

الفرع الثاني : مقارنة العلمانية العربية الإسلامية مع العلمانية الغربية المسيحية

على أنه ، في مقارنة العلمانية العربية الإسلامية مع العلمانية الغربية المسيحية يظهر أن الأولى لم تأخذ منحى انقلابيا ، تصادمية مع البنية الروحية ونظام الحياة الاجتماعي للمجتمع القائم على مبادئ الإسلام ، إنما انطلقت من واقع حاولت أن تتعايش فيه ومعه ، على أمل ظهور أرضية جديدة ، تثبت قناعتها ، وتتمثلها الدولة في كل مؤسساتها .

إن تعبير مسلمون علمانيون مشتق من حقيقة كون أفراد هذه الفئة من المثقفين العرب المسلمين (وهذا ما يميزهم عن المثقفين المسيحيين) وإنهم لم يكونوا موجّهين دينيا (وهذا ما يميزهم عن المسلمين المحافظين والإصلاحيين) في الوقت ذاته ، شاركوا هذه الفئة بصفات أخرى. أن اتجاّهم نحو اختراق إطار التفكير الديني والتعامل مع قيم ونظم علمانية ، خاصة في مجال السياسة ووضعهم على أرض مشتركة مع المثقفين المسيحيين المغتايين. ومع ذلك كان ذهنيّتهم مرتبطة بواقعهم الإسلامي.²⁰

ويمكن القول أن أصحاب الاتجاه العلماني الإسلامي العربي انطلقوا كما فعل أسلافهم المصلحون الأوائل ، من أن العقل أصل في الإسلام. فالإسلام ليس عقبة أمام البحث الفكري

، وإنما حث الناس على استخدام عقولهم في معالجة مشكلاتهم ، فانكبوا على المعرفة والحضارة الأوروبيتين ، يأخذون منها ما يلائم واقع بلادهم.

وهكذا يظهر أن العلمانية كمنحنى في النظر إلى قضايا الحياة و المجتمع ، تعتبر طرحا جديدا في البيئة العربية الإسلامية ، وهي إحدى المسائل الفكرية في الفكر العربي الحديث. من هنا أهمية النظر في أصالتها أو تغريبها .

المطلب الرابع : السنّة الصحيحة والعلمانية

وفي السنة الصحيحة أحكام مفصلة في أبواب من المعاملات و الجنائيات إلى نحو هذا مما يدلّك على أن من يدعو إلى فصل الدين عن السياسة إنما تصور دينا آخر وسماه الإسلام.

وفي سيرة أصحاب رسول الله _ وهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة _ ما يدلّ دلالة قاطعة على أن للدين سلطانا على السياسة ، فإنهم كانوا يأخذون على الخليفة عند مبايعته شرط العمل بكتاب الله و سنة رسول الله.

ولولا علمهم بأن السياسة لا تنفصل عن الدين لباعوه على أن يسوسهم بما يراه أو يراه مجلس شورا مصلحة ، وفي صحيح البخاري (كانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمراء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها ، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم).²¹

ومن شواهد أن ربط السياسة بالدين أمر عرفه خاصة الصحابة وعامتهم : قصة عمر بن الخطاب ، إذ بدا له أن يضع لمهور النساء حداً ، فتلت عليه امرأة قوله تعالى : (و آتيتن إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) سورة النساء الآية 20 ، فما زاد على أن قال : رجل أخطأ وامرأة أصابت ، ونبذ رأيه وراء ظهره ، ولم يقل لها : ذلك دين وهذه سياسة.²²

ليس في الإسلام سلطة دينية تشبه السلطة الكاثوليكية²³ ، والسلطة الدينية في الإسلام لكتاب الله وسنة رسول الله (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) سورة النساء الآية 59.

فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد ان يكونوا غير مسلمين وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدي به الأجنبي على الدين إذا جاس خلال الديار ، وقد رأينا الذين فصلوا الدين عن السياسة علنا كيف صاروا أشد الناس عداوة لهداية القرآن ، ورأينا كيف كان بعض المبتهلين بالاستعمار الأجنبي أقرب إلى الحرية في الدين ممن أصيبوا بسلطانهم ، ونحن على ثقة من أن الفئة التي تتراح لمثل مقال الكاتب لو ملكت قوة لألغت محاكم يقضى فيها بأصول الإسلام ، وقلبت معاهد تدرس فيها علوم شريعته الغراء إلى معاهد لهو ومجون ، بل لم يجدوا في أنفسهم ما يتباطأ بهم عن التصرف في مساجد يُذكر فيها اسم الله تصرف من لا يرجو الله وقارا.²⁴

المبحث الثاني : موقف الإسلام من العلمانية

إن العقيدة الحنيفية في بعض البلاد تتعرض لخطر تحديات العلمانية وما ينبعث منها من ضلالات متنكرة في لباس تفسير مآكر على أنها ليست إلا اجتناب عن التعصب الديني ، واعتراف بحرية العقيدة لكل إنسان إن شاء آمن وإن شاء كفر.

أما في الحقيقة فإن مفهوم العلمانية لا ينحصر في هذا القدر فحسب وإن كان ينطوي على إفساد العقيدة بمحض هذا المضمون ، بل يتجاوز إلى تأويلات مختلفة يمكن القول فيها بالإيجاز: أن العلمانية مذبذبة بين كل ما يمكن أن يضاف إليها من معاني شتى على حد ما يقوله المدافعون عنها وما يبدو فيها من آراء .

المطلب الأول : الطعن في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم

الطعن في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم و التشكيك فيها طعن في القرآن الكريم الذي جاء بالأمر بالأخذ بالسنة والعمل بها ، كما قال تعالى : (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) سورة الحشر الآية 7 ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه "²⁵ ، كما في قوله تعالى : (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) سورة النساء الآية 113 ، والكتاب هو القرآن ، والحكمة هي : السنة. فلا يطعن في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أفراخ الجهمية والمعتزلة ، وأتباع المستشرقين من اليهود والنصارى ، ومن تثقف بثقافتهم وشرب من منابعهم .

ثم أن من زعم أن الإسلام لم يعط الإنسان حقوقه المناسبة فقد اتهم الله سبحانه بالظلم والجور ، لأن الإسلام من عند الله ، وقد وصفه الله بأنه هدى للناس ورحمة ، وكيف يكون هدى ورحمة وهو لم يعط الناس حقوقهم ، ويخلصهم من الظلم ، إن من يصف الإسلام بهذا الوصف فهو كافر وملحد مكذب لله ولرسوله.

المطلب الثاني : أكاذيب فصل الدين عن الدولة

ومن زعم فصل الدين عن الدولة ، وأن الدين محله المساجد والبيوت وأن للدولة أن تفعل ما تشاء وتحكم بما تشاء فقد أعظم على الله الفرية ، وكذب على الله ورسوله ، وغلط أقبح الغلط ، بل هذا كفر وضلال بعيدا والعياذ بالله من ذلك، بل جميع العباد مأمورون بالخضوع لأحكام الشريعة وتشريعاتها في العبادات وغيرها ويجل على الدولة أن تكون منفذة لحكم الشريعة سائرة تحت سلطانها في جميع تصرفاتها ، وعلى هذا الأساس سار النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، و سار أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم وسار عليه أئمة الإسلام بعد ذلك في كل شيء ، وقد جعل الله هذه الشريعة روحا ونورا وحياة للناس ، وبهذا تعرف أنك في أشد الضرورة إلى هذه الشريعة ، وأن البشر كلهم في ضرورة إليها ، لأنها الحياة ، ولأنها النور ، ولأنها الصراط المستقيم المفضي إلى النجاة ، وما عداها فظلمة وموت وشقاء ، قال الله جل وعلى في كتابه العظيم : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) سورة الأنعام الآية 122 ، فجعل على من خرج عن الشريعة ميتا ، وجعل من هُدى إليها حيا ، وجعل من أبى الشريعة في ظلمةٍ ، وجعل من وُفق لها في فوز وهدى . وقال جل وعلا: (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) سورة الأنفال الآية 24 .

وهكذا فجعل سبحانه ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام روحا للعباد تحصل به حياتهم ونورا تحصل به بصيرتهم ونجاتهم وسيرهم على الصراط المستقيم.²⁶

في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " تسوسهم الأنبياء " دليل على ان دين الله _ وهو دين الإسلام في كل زمان وفي كل مكان _ هو السياسة الحقيقية النافعة ، وليس السياسة التي يفرضها أعداء الإسلام من الكفار .

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين : السياسة حقيقة ما جاء في شرع الله ، ولهذا نقول : إن الإسلام شريعة وسياسة ، ومن فرق بين السياسة والشريعة فقد ضل ، ففي الإسلام سياسة الخلق مع الله وبيان العبادات ، وسياسة الإنسان مع اهله ، ومع جيرانه ، ومع أقاربه ، ومع أصحابه ، ومع تلاميذه ، ومع معلميه ، ومع كل أحد ، كلُّ له سياسة تخصه سياسة مع الأعداء الكفار ، ما بين حربيين ومعاهدين ومستأمنين وذميين.

وكل طائفة قد بين الإسلام حقوقهم ، وأمر أن نسلك بهم كما يجب ، فمثلا الحربيون نحاربهم ، ودمائهم حلال لنا ، وأموالهم حلال لنا ، وأراضهم حلال لنا ، والمستأمنون يجب أن نُأمنهم ، كما قال الله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) سورة التوبة الآية 6 ، ثم أن الدين سياسة : سياسة شرعية ، سياسة اجتماعية ، سياسة مع الأجانب ، ومع المسلمين ، ومع كل أحد .

ومن فصل الدين عن السياسة فقد ضل ، وهو بين أمرين :

- إما جاهل بالدين ولا يعرف ، ويظن أن الدين عبادات بين الإنسان وربه ، وحقوق شخصية وما أشبه ذلك ، يظن أن هذا هو الدين فقط.
- أو أنه قد بهر الكفرة وما هم عليه من القوة المادية ، فظن أنهم هم المصيبون

المطلب الثالث : مقارنة بين الجاهلية العربية القديمة والجاهلية العلمانية الحديثة

إن الدارس لعقائد الجاهلية العربية القديمة يجد _ من أول وهلة _ أنها لم تكن تنكر وجود الله أبدا بل كانت توحيده في معظم أفعاله تعالى كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والأمانة (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) سورة لقمان الآية 25 .

وكانوا يقرون بمشيئة الله النافذة في الكون وقدره الذي لا يرد (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء) سورة الأنعام الآية 148.

وشيء بخر سبقت _ بل فاقت _ به الجاهلية العربية القديمة الجاهليات العلمانية المعاصرة وهو " حرية التدين " فكان منهم الحنفاء الذين يتعبدون ببقايا دين إبراهيم عليه

السلام ، وكان منهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكان منهم عبدة الكواكب وعبادة الأوثان ، وبعضهم كان يعبد الجن أو الملائكة.²⁷

وانطلاقاً من هذا المفهوم الذي يعتبر في حقيقة الأمر من المعلوم من الدين بالضرورة عند أهل السنة والجماعة ، نستطيع أن نرى حكم الإسلام في العلمانية بسهولة ووضوح. ونستطيع ان نصل بالقضية إلى المستوى المطلوب من الحسم والوضوح في نفوس أهل السنة اللازمين لفضح العلمانية ومواجهتها.

إن العلمانية باختصار نظام " طاغوتي جاهل كافر " يتنافى ويتعارض تماماً مع شهادة " أن لا إله إلا الله " من ناحيتين أساسيتين متلازمتين :

- الأولى : من ناحية كونها _ أي العلمانية _ حكماً بغير ما أنزل الله.

- الثانية : من ناحية كونها شركاً في عبادة الله.

إن العلمانية تعني _ بداهة _ الحكم بغير ما أنزل الله و تحكيم غير شريعة الله وقبول الحكم والتشريع والطاعة والأطباع من طواغيت من دون الله. فهذا معنى قيام الحياة على غير الدين أو بعبارة أخرى فصل الدين عن الدولة ، أو فصل الدين عن السياسة ، ومن ثم فهي _ بالبدئية _ نظام جاهلي لا مكان لمعتقدده ولا لنظامه ولا لشرائعه في دائرة الإسلام. بل هو نظام كافر بنص القرآن الكريم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) سورة المائدة الآية 44 .

المطلب الرابع : دستور العلمانيين

إذا تأملنا ذلك ، و نظرنا إلى دستور العلمانيين وجدناه عبارة عن كتاب مجموع من احكام قد اقتبسها " جنكيز خان العلمانيين " من شرائع شتى من الرومانية والفرنسية والملة الإسلامية وغيرها ، وفيها الكثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه في أتباع العلمانيين شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأصدروا قواعد تشريعية عامة بدلوا بها شرائع الإسلام لتكون لها السيادة في الأمة ولتصبح هي المرجع في الحكم عند التنازع. وأصبح التحاكم إلى القوانين الوضعية التي تحل الربا و الزنا و الفواحش هو دين العلمانيين وشريعتهم .

المطلب الخامس : تمسح الانظمة العلمانية بالدين وادعائها الإسلام

والسؤال هو لماذا تصر الأنظمة العلمانية على التمسح بالدين و ادعاء الإسلام رغم أنها _ على ما يبدو في الظاهر _ تسيطر على مراكز القوة و التشريع ؟.

وللإجابة على ذلك ، يجب ان نعلم اولاً أنه بعد أن نجحت الجاهلية _ مؤقتاً _ في تنحية شرع الله من أن يحكم حياة المسلمين في ديارهم حاول أعداء الإسلام إخراج المسلمين عن أصل دينهم إلى المذاهب الإلحادية و المادية.

وبعد أن فشلوا في تنفيذ هذا المخطط وأصابهم اليأس من ذلك ، لجئوا _ بعد التفكير والتدبير _ إلى ما هو اخطر وأخبث ، لجئوا إلى اصطناع أنظمة تحكم بغير ما أنزل الله وفي الوقت نفسه هي تدعي الإسلام ، وتظهر احترام العقيدة بوسائل مختلفة ، فقتلوا احساس الجماهير وضمنوا ولائها وخذروا ضميرها ، ثم انطلقوا يهدمون شريعة الله في مأمن من انتفاضتها.

ولذلك لا يجراً أرباب هذه الأنظمة العلمانية الديمقراطية على التصريح بأنهم ملحدون أو لا دينيون أو انهم ضد شريعة الله. بينما يصرحون _ مفتخرين _ بأنهم ديمقراطيون مثلاً.

إن من عادة المنافقين والزنادقة من المنتسبين لهذا الدين عدم الإنكار الصريح والواضح وعدم إظهار العداء للسافر للإسلام وهم بهذا الأسلوب و تحت هذه العباءة يستطيعون _ أو هكذا يظنون _ تحقيق أهدافهم الخبيثة و تقديم خدماتهم لأصدقائهم من اليهود و النصارى الذين يتآمرون للقضاء على الامة الإسلامية.

وهم يسعون لذلك بسلاح التلبيس و التمويه للالتفاف حول المسلمين لحين المعركة الفاصلة حين يفاجئوا المسلمين على حين غرة . هم حريصون غاية الحرص في عدم إيقاظ الوعي الإسلامي قبل الموعد المرتقب ، وهذه صحيفة يدعوت أحرونوت اليهودية التي كتبت مقالاً إبان الهجوم اليهودي على جنوب لبنان عام 1978 قالت : " إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب ، هي أننا قد نجحنا بجهودنا و جهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال 30 عاماً ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد ، ولهذا لا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل وبأي أسلوب ولو اقتضى الأمر

الاستعانة بأصدقائنا ، لاستعمال العنف و البطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا.²⁸

يزعم العلمانيون أن " العلمانية " تمثل خلاصة تطور الفكر البشري في نظرته إلى علاقة الدين بالواقع والحياة ، وهم وإن كانوا يعترفون بأن جذورها ترجع إلى الفلسفة اليونانية القديمة ، إلا أنهم يرجعون بداية تبلور مفاهيمها الحديثة إلى عصر التنوير الأوروبي ، لكننا لو نظرنا إلى كثير من المبادئ التي تقوم عليها هذه " العلمانية الحديثة " ، فإننا سنجد أنها في حقيقة أمرها فكر جاهلي ، قديم قدم البشرية ، جوبه به المرسلون والأنبياء ، و ووجهت به رسالات السماء ، تدعو إليه نوازع النفوس الجامحة وتزينه الأهواء ، ويدعى إلى غير أبيه و يُنسب إلى العقول و الآراء .

وهكذا هم العلمانيون يظنون أن رفض بعض حقائق الدين ، هو قمة العقلانية والتحرر ، في حين أن مثل هذا السلوك لا يعدو أن يكون رضوخاً لأهواء النفس ونوازعها ، فالهوى الذي يتشكل بفعل المؤثرات الخارجية كالمُنصب و المكانة والشهوة يزاحم العقل ويخالطه ، حتى يتمكن منه ويغدو صاحبه يتحدث بهواه و نوازع نفسه ، وينسب ذلك إلى عقله، وهذه واحدة من أهم الحقائق التي يكابر العلمانيون في الاعتراف بها ، حين يذهبون لحد التكذيب بوجود الهوى والوساوس ، ويرون أنه لا وجود إلا لعقل و خرافة. ويرفضون محاكمة دعاواهم أمام مبادئ العقل المجمع عليها ، بل ويصرون على محاكمتها إلى ما يحلو لهم نسبته إلى العقل ، مما لا يمكن أن يكون محل إجماع بين العقول ، ولا يعدو في حقيقته أن يكون أذواقاً و أمزجة.²⁹

ومن حقد المتطرفين العلمانيين الغربيين ، ففي السويد مثلاً يُسمح للمسجد برفع الأذان كل يوم جمعة فقط على أن لا يتجاوز مستوى محدد و أوضحت الشرطة هناك أن صوت الأذان لا يجب أن يتجاوز مستوى محدد و ذلك لتفادي إزعاج السكان القريبين من المسجد ، علماً بأن الإسلام يحتل المرتبة الثانية في السويد بعدد يقدر بنصف مليون وأكدت دراسات هناك أن الإسلام ينتشر بشكل مثير للدهشة في أوساط الشعب السويدي، رغم غياب الدعاية الكافية له ، حيث أشارت الإحصاءات الرسمية إلى أن عدد المسلمين في تزايد مستمر.³⁰

المبحث الثالث : السياسة الغربية وسياسة قريش

الأمم الكافرة في هذا الزمان ، تتسامح مع كل عقيدة وكل شذوذ يخالف الفطرة الإنسانية ، تتدخل لحماية الأقليات الدينية، وتضغط لحماية الملحدين والعلمانيين ، وتعاطف مع العراة والشاذين وتمنحهم حقوقهم ، لكنها لا تتسامح أبداً مع الإسلام ولا تبدي أي اهتمام بقضايا المسلمين. كل حرية مكفولة عدو حرية إظهار شعائر الدين الإسلامي ، وكل رأي محترم إلا إذا كان رأياً إسلامياً .

إنها جاهلية قريش تعود في ثوب جديد ، قبل بزوغ فجر الإسلام ، كانت الحرية الدينية مكفولة للجميع ، كان هناك يهود ونصارى ومشركون وأتباع ملّة إبراهيم ، كان هناك ورقة بن نوفل الذي كان نصرانيا ...³¹

المطلب الأول : المؤتمر العالمي للأديان بجنيف

افتتح المدير التنفيذي لمركز جنيف لحقوق الإنسان و الحوار العالمي ، السفير إدريس الجزائري يوم 25 جوان الماضي ، المؤتمر العالمي " الأديان والمعتقدات ونظم القيم ، تضافر الجهود من أجل تعزيز حقوق المواطنة المتساوية " في قاعة الجمعية العامة الرئيسية بقصر الأمم المتحدة بجنيف وقد أكد المدير التنفيذي السفير إدريس الجزائري أن الكرامة للجميع هي الهدف الأساسي للمؤتمر المعني بالأديان وحقوق المواطنة المتساوية وأشار إلى تضافر الجهود من أجل تعزيز حقوق مواطنة متساوية ومقترحا أن تصبح مدينة جنيف حاملة لواء التفاهم والتعايش.

ومن جهته سلط الأمين العام للأمم المتحدة ، أنطونيو غوتيريس في كلمة له الضوء على أهمية العمل المتضافر لإعمال حقوق مواطنة متساوية الموجهة إلى المؤتمر العالمي. وأقر بأهمية مبادرة مركز جنيف لحقوق الإنسان والحوار العالمي ، لاسيما في السياق الحالي ، حيث تتزايد العنصرية والتعصب والتمييز وأبرز الدور الحاسم الذي لعبه الزعماء الدينيون في هذا الصدد.

ومن جهته أكد وزير خارجية الجزائر الأسبق وعضو مجلس الحكماء ، السيد الأخضر الإبراهيمي* ، أنه من الضروري مناقشة قضية فلسطين في سياق هذا المؤتمر العالمي ، وأضاف : " هذا المؤتمر يهتم الفلسطينيين مئة في المئة فهم مجموعة تم إقصائها وإبعادها واحتل بلدهم من قبل إسرائيل ". وأفاد الوزير الإبراهيمي في مجلس الأمن أن الوضع في غزة

لا يليق، وتابع : " كيف لإسرائيل أن تحاصر الفلسطينيين حتى أصبحت الضفة الغربية مساحة تضيق يوما بعد يوم ، وأن غزة أصبحت سجنا ، مشيرا أن الشباب الفلسطيني لم ينسوا بلدهم وقضيتهم "³².

المطلب الثاني : تعزيز التعاون بين رابطة العالم الإسلامي و الفاتيكان

وقّع الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى ، ورئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان في الفاتيكان الكاردينال جان لويس توران. اتفاقية تعاون لتحقيق الأهداف المشتركة متضمنة إنشاء لجنة عمل دائمة بين المجلس البابوي والرابطة.

وتأتي هذه الاتفاقية تنويعا للتعاون السابق بين رابطة العالم الإسلامي والمجلس البابوي.

وأكدت الاتفاقية من جهة أخرى على ضرورة الحوار في عالم أصبح أكثر تعددا للأعراق والديانات والثقافات ، والإيمان بالروابط الدينية والروحية الخاصة القائمة بين المسلمين والمسيحيين ، وضرورة إقامة علاقات احترام وسلام مثمرة بينهم ، إضافة إلى الدور المهم الذي يضطلع به المجلس البابوي في تعزيز علاقات بناء مع المؤمنين من الديانات الأخرى ، و الدور المتميز لرابطة العالم الإسلامي على مستوى الشعوب الإسلامية ، وفي مجال الحوار بين الأديان.³³

المطلب الثالث : نجاح الحوار بين أتباع الديانات

أكد الأمير حسن بن طلال رئيس منتدى الفكر العربي ورئيس مجلس أمناء المعهد الملكي للدراسات الدينية بالأردن على أهمية تثمين النطاق المشترك بين المسلمين والغرب وتأكيد

نقاط التماس و الالتقاء الكائنة بين ثقافة المسلمين الأصلية والثقافة الغربية ، والأخذ دوماً بالمشترك الإنساني الذي يجمع ولا يفرق واعتبر في حوار خص به الخبر على هامش المؤتمر العالمي الأديان و المعتقدات ونظم القيم في جنيف ، أن العلاقات الإسلامية والمسيحية واليهودية في بلاد الشام والعراق والمغرب العربي والأندلس مثلت نموذجاً فريداً طيلة قرون طويلة كانت فيها أوروبا غارقة في قرونها المظلمة ، ثم أضاف : أن فهم الآخر فهما موضوعياً يجنبنا الوقوع في شرك التصادم غير المثمر ، ولا يتم ذلك إلا بفهم ذاتنا من خلال الشورى والعقلانية الواعية المسؤولة والتنمية بين المذاهب الإسلامية وضمن البدر الإسلامي الموحد وأضاف : يتمثل الوجه الآخر للإسلام في الغرب بكونه منظومة حضارية لها قيمتها في الحضارة الكونية ، من زاوية التثاقف والمغايرة. ولا بد من تبيين النطاق المشترك بين المسلمين والغرب وتأكيد نقاط التماس و الالتقاء الكائنة بين ثقافة المسلمين الأصلية والثقافة الغربية ، والأخذ دوماً بالمشترك الإنساني الذي يجمع ولا يفرق وعندما تستحكم فكرة الصراع وتسيطر نظرية المؤامرة ، يكون التشبث بالهوية دفاعاً مستميتاً عن الذات أكثر من كونه وعياً بالذات.³⁴

المطلب الرابع : اللعبة العالمية وكمال أتاتورك

لقد كانت اللعبة العالمية تقتضي اصطناع "بطل" تراجع أمامه جيوش الحلفاء الجرارة وتُعلق الأمة الإسلامية البائسة فيه أملها الكبير و حلمها المنشود ، وفي أوج عظمتها وانتفاخه ينقض على الرمح الباقي في جسم الأمة فينهشه ويجهض عليها إلى الأبد³⁵ وهذا أفضل قطعاً من كل " المائة مشروع لتقسيم تركيا " وهدم الإسلام.³⁶

وتمت صناعة البطل بنجاح باهرووقف يتحدى الحلفاء وألقى باليونان في البحر ولم يرى الحلفاء بُداً من التفاوض معه ، وكانت ثمرة المفاوضات هي الاتفاقية المعروفة باتفاقية كيرزن ذات الشروط الاربعة³⁷ :

- 1- إلغاء الخلافة الإسلامية نهائياً من تركيا.
- 2- أن تقطع تركيا كل صلة مع الإسلام.
- 3- ان تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية في تركيا.
- 4- أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت.

وامتدح تويحي عمل أتاتورك واعتبره أعظم من هتلر عبقرية في فن الهدم وقطع الصلة بالماضي ، وقال :

" إن الدولة التركية التي أقامها مصطفى كمال على النسق الغربي تبدو عملا ناجحا لم يتحقق مثله حتى ذلك الوقت في أي بلد إسلامي آخر.³⁸

ونتيجة للتطرف والغلو المفرط والأعمال التي لا مبرر لها إلا تنفيس الحقد الأوروبي على الإسلام ومركب النقص الذي كان يستشعره الكماليون ، اتخذت تركيا المتعلمنة تدابير وإجراءات غربية حقا ، فقد ألغت بالعنف والإرهاب الكتابة التركية بالأحرف العربية ثم تجرأت فحزمت الأذان بالعربية ، وكتبت المصحف أو ترجمته بلغتها الهجينة ، وحددت عدد المساجد وأقفل الكثير منها أو حولته إلا ما لا يتفق وقداسته كما فعلت بجامع آية صوفيا ، وألغت وزارة الاوقاف. وفرضت بقوة السلاح المسخ الفكري وحتى المظهري على الأمة لاسيما المعركة الأوروبية التي سالت لأجلها الدماء ، وألغت الاعياد الإسلامية ، وحطمت بصورة استبدادية مظاهر الحشمة والحياء الإسلاميين ، فأكرهت النساء على تقليد المرأة الغربية في كل شيء وحاربت بشدة صارمة كل من اعترض طريقها من المتورعين و حتى المعتدلين شيئا ما من الكماليين.³⁹

والحقيقة المرة أن مصطفى كمال قد خلق نموذجا صارخا للحكام في العالم الإسلامي وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذ أثره في سياسات من جاء بعده منهم ، كما أنه أعطى الاستعمار الغربي مبررا كافيا للقضاء على الإسلام فإن فرنسا مثلا بررت تنصير بلاد المغرب العربي وفرنجنها بأنه لا يجب عليها أن تحافظ على الإسلام أكثر من الأتراك المسلمين أنفسهم.

و ليس أعجب من هذا الرجل وزمرته إلا من ينادون اليوم _ من الزعماء _ بإقامة حكومات علمانية في بلادهم ويقولون إن مصطفى كمال هو قائدهم الروحي.

الطغيان في حد ذاته مرض خطير يدمر النفس الإنسانية ويمسح سماتها ويحيل الكائن البشري إلى روح شيطانية ماردة. ومن خصائص هذا المرض أن أعراضه لا تصيب إلا ذا نفس هزيلة أتيح لها وسائل تفوق طاقتها ومساحة أكبر من حجمها، ولم يكن لديها وازع خلقي أو رادع إيماني يكبح جماحها ويضبط سلوكها .

فالطغيان يبدأ وسيلة خاطئة وينتهي مرضا مدمرا لا شفاء له إلا الموت القاصم.

و حين يصدر الطغيان من حاكم وثني او زعيم دنيوي فإنه يكون معقولا إلى حد ما ، وإن كانت فظاعته لا يصوغها عقل ولا ضمير ، أما حين يصدر الطغيان عن رجال يراهم الناس " قديسين " ورسلا سلام وطلاب آخرة فذلك مما يشق على النفس احتماله ويبعد عن الذهن قبوله إذا كانوا رجال دين يجعل المحبة شعاره و التسامح ميزته ويقول لأتباعه : " من يلطمك على خدك الأيمن فأدر له الآخر ، ومن أراد أن يخاصمك و يأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحد فسر معه اثنين " .⁴⁰

يقول برنتن : " لم يكن بوسع الكثيرين من أفراد المجتمع الغربي أن يعترفوا صراحة وجماعة بالإلحاد أو اللاإرادية أو بمذهب الاتصال بالله أو بأية عقيدة أخرى غير المسيحية إلا خلال القرون القلائل الأخيرة ، وقد كان الكفار الذين يجاهرون بكفرهم قلة نادرة في الألف سنة التي استغرقتها القرون الوسطى . ولما كان الناس جميعا مسيحيين فلم يكن هناك مفر من أن تكون المسيحية هي كل شيء لكل الناس ، فلقد كان القديس فرنسيس وأرازمس ولويولا و ميكيافلي و باسكال و وزلي و نابليون و غلاستون و جون روكفلر جميعا مسيحيين وقد كان الناس ترتجف أوصالهم عند ذكر الكنيسة ، ووقف كبار الفلاسفة والنقاد مهوتين مطرقين ، لا يجروا أحدهم على التصريح بأنه لا يؤمن بالمسيحية مهما كانت آرائه مخالفة لتعاليمها .⁴¹

المطلب الخامس : سقوط العلمانية

قد يبدو هذا العنوان مثيرا وغريبا على كثير من الناس ، ففي الوقت الذي تكتسح فيه الحضارة الغربية التي تمثل العلمانية، تكتسح الحضارات الأخرى بمفاهيمها و تقليدها ونظمها ، في الوقت الذي انهارت أمامها أكبر القوى ونقصد بها الاتحاد السوفيتي بينما هي صمدت بل يرى كثير من الناس أنها ازدادت قوة وتمكينا ، ويقول محمد شهدي : " في هذا

التوقيت يخرج علينا من يقول بانقيار العلمانية التي تمثلها تلك القوى الجبارة و تدافع عنها حتى خارج حدودها في معظم بلدان العالم خاصة بلاد المسلمين ليس بالاستعمار المباشر الذي ولى ولكن بالمؤامرات و تنصيب العملاء الذين ينفذون مخططاتهم بدقة و إتقان " و يضيف : " ولكننا نحن المسلمين نعلم أن هذه القوة المنتفشة هي الزبد الذي قال عنه ربنا سبحانه : (فأما الزبد فيذهب جُفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) سورة الرعد الآية 17.

ونعلم كذلك أن بداية انقيار الشيوعية هي نفسها بداية انقيار العلمانية ، ولا بد ، فإنهما كجناحي الطائر ما إن يُقصى منها جناح حتى يسقط و يهوى الطائر نفسه بعد ذلك. خاصة أن الشيوعية هي إحدى إفرازات الحضارة الغربية وثمرتها من ثمراتها الخبيثة التي أينعت. ⁴²

وهنا يقول صحفي غربي :

" إن الشيوعية أفضل من الإسلام ، لأنها في الأصل فكرة غربية يمكن الالتقاء معها ، أما الإسلام فلا التقاء معه ولا تفاهم معه إلا بلغة الحديد والنار. ⁴³

هذا ما كتبه غربيون عن فرع من فروع الحضارة الغربية ولكن ماذا حدث لها ؟ الذي حدث لها أنها انهارت و تساقطت كتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف بعد أن ظن كثيرون أنها ستكتسح العالم كله ، ولن يقف في وجهها شيء .

و سرت في مطلع هذا القرن حقبة مظلمة راجت فيها سوق الأفكار الموبوءة و المذاهب المنحرفة حتى أظهر أعداء الإسلام تفاؤلهم بأن هذه الأمة ستلفظ أنفاسها عما قريب. ⁴⁴

فالعلماء المخلصون يطاردون و يُعلّقون على أعواد المشانق ، والدعاة إلى الله يضرّبون على أيديهم و يسكتون و أهل الباطل يُفتح لهم المجال في جميع وسائل الإعلام و مواقع اتخاذ القرار و يُوسّع لهم الطريق.

يقول الأستاذ محمد أحمد باسميل : " فبعد أن كانت روسيا و بكين هي المقر الوحيد لقيادات الدعوة الصريحة إلى الإلحاد و محاربة الإسلام وكل دين سماوي ، أصبح اليوم في العالم العربي وفي دمشق والقاهرة بالذات قيادات للإلحاد تشن الحرب السافرة على الإسلام

وعلى كل قيادة تدعو للإسلام ، وبعنف و ضراوة يقصر دونهما أحيانا عنف و ضراوة أعداء الإسلام الملحدون انفسهم في موسكو وبكين ."

والغريب أنهم مع هذه الحرب السافرة يصرون على أنهم مسلمون بل و أنهم على الإسلام الحقيقي .

المبحث الرابع : فشل الحضارة الغربية

إن فشل الحضارة الغربية في إسعاد أهلها جعل الناس يتململون منها و يبحثون عن مخرج ، وبما أن الدين الذي ينتمون إليه لا يشبع رغبتهم ولا يصلح للخروج من الورطة.

إذاً لا بد أن يبحثوا فرادا أو مجتمعين عن حل ، بما أن العالم كله متغرب ويعاني من نفس المشكلة التي يعانون منها وإن كان بنسب متفاوتة ، فإن في هذا عزاء لهم وحجة في أيدي اللذين يسوقونهم بلا فائدة ولا مخرج وإنما هو طريق كُتب علينا أن نسير فيه حتى نهايته.

فلو وجد هذا النظام وهذه الشريعة وهذا الدين الذي يتناسق مع الفطرة والذي يلبي وينسج مع انسان العصر وأصبح واقعا في حياة المسلمين ممارسةً وتنظيماً وسلوكاً وقانوناً وعادات وتقاليد وأخلاقاً لوجد الغربيون ضالتهم التي يبحثون عنها وكان الشرق كما قال " تويني " هو مصدر الحضارة الجديدة ، يقول أحد الدعاة بحق : " إن الإسلام محجوب عن الغرب بستر كثيف من أعمال المسلمين ".

ويقول أحد الكتّاب الغربيين ، في كتاب " الله أو الدمار " :

" لو أن العرب عرفوا قيمة الإسلام لحكموا العالم إلى قيام الساعة ".

لكن الذي يراه الغربي حين يزور بلاد المسلمين ، أو حين يسمع ويشاهد أنهم يحاكونه و يقلدونه ويحاولون أن يصلوا إلى بعض ما وصل إليه فلا يستطيعون وفي نفس الوقت يرى الإعجاب ببلاده وحضارتها ، رغم التعاسة التي يحس بها والشقاء الذي يعيش فيه ، فيكون هذا أكبر عون على ما هو فيه ، وفي نفس الوقت ينصرف عما عندنا من دين.

وهذا الذي نقوله قالته اللجنة الملكية البريطانية في تقرير لها ، تقول فيه : " إن حضارة العرب قادمة ، ولا يستطيع السلاطين والأباطرة منع مجيئها و متى جاءت فسيعجز التسيطر والفتح ورجال المال عن الإمام بها و السيطرة عليها ".⁴⁵

المطلب الأول : آراء ولقاءات حول العلمانية والإسلام

الفرع الأول : السعودية تنفتح على المسيحية

التقى ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان يوم الأول من نوفمبر 2018 وفدا من رموز المسيحية الانجيلية الأمريكية، في خطوة نادرة تأتي في ظل مساعي المملكة العربية السعودية لمزيد من الانفتاح على العالم وإصلاح صورتها على التسامح الديني. وأعلن الوفد الذي رأسه خبير الاتصال جويل روزنبرج ما يلي: "لقد كان استقبال ولي العهد السعودي علانية لزعامات المسيحية الانجيلية في القصر خطة تاريخية وأضاف لقد سعدنا بالصدق الذي اكتنف المحادثة التي استمرت لساعتين".

إن زيارة مثل هذه الزعامات غير المسلمة التي تقول أنها تمثل حوالي 60 مليون نسمة تعتبر انفتاحا دينيا غير معهود في المملكة. كما التقى الوفد الزائر وزير الخارجية السعودي وسفيرها لدى واشنطن، فضلا عن الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.⁴⁶

إن دل هذا على شيء فإنما يدل على الانفتاح على الآخر دينيا واجتماعيا وفنيا وتكنولوجيا، التي دأبت عليه المملكة العربية السعودية في السنتين الأخيرتين، وهي ميزة حسنة تحسب للمملكة في العهد الجديد الذي طلق وتخلص من أطروحات الماضي المقيدة والمعقدة على الانفتاح والتقدم والتكنولوجيا.

الفرع الثاني : معرفة الإسلام

ما أحوجنا إلى معرفة الإسلام، وتعريفه للغرب خاصة مع معضلة العصر، ومحاولات وصف الإسلام بالعنف، والإرهاب، والتخلف ... بالإضافة إلى محاولة مد الجسور بين الإسلام

وغيره من المفاهيم الغربية كالعلمانية، فكان لا بد من دراسة مقارنة بين الإسلام والعلمانية لتحديد إشكالية العلاقة بينهما للبحث عن القواسم المشتركة. وهذا ما يدخل ضمن حوار الثقافات والحضارات ولا بد من إعادة بعث الإسلام واحتوائه لأضداده بما في ذلك العلمانية، وهذا لا يتيسر لنا إلا بالوقوف أمام دراسة مقارنة بين الإسلام والعلمانية.⁴⁷

الفرع الثالث : إشكالية المقارنة بين الإسلام والعلمانية

فالإسلام ليس " دين ميتافيزيقي خرافي أسطوري " كما يقول محمد الغزالي ويضيف فالإسلام ليس كالمسيحية، التي بحكم طبيعتها، ووفقا للاهوت كنيستها كرسالة روحية خالصة، مهمتها خلاص الروح، والتركيز على مملكة السماء، والتي بذلك تركت ما لقيصر لقيصر. والعلمانية هنا أتت لتصحيح المسيحية.

المطلب الثاني : أقوال وحكم للدكتوران الرائدان لمحمد عمارة

ومن جهته الدكتور محمد عمارة يقول: "فإن هذه العلمانية في إطار المسيحية الغربية طبيعية تماما بل وتقدمية، لأن حلى غربي لمشكلة غربية". غير أن طبيعة الإسلام أو نطاق شريعته، مغايران لنظيرهما في المسيحية.⁴⁸

فالعصرنة والتقدم والعلم، الذي تدعي إليه العلمانية، ليس بالجديد أو الغريب على الإسلام، فكانت هذه المحاولة لتسليط الضوء على أهم نقاط الاختلاف والالتقاء وإمكانية التعايش والتحاور من خلال القواسم المشتركة وهذا من خلال الازدواجية الحضارية الإسلامية العلمانية، التي ترسم على تركيا حاليا، وربما بشكل محتشم في العديد من الدول الإسلامية ومسك الختام لن يكون إلا بما قاله الدكتور يوسف القرضاوي:

- نعم للعلمانية (العلمية) ولا للعلمانية (بمفهوم الإلحاد)
- نعم للدولة الإسلامية، ولا للدولة الدينية.
- نعم للشريعة في ضوء الاجتهاد، ولا للجمود باسم الشريعة.
- نعم للتحديث في رحاب الأصالة، ولا للتغريب في ركاب التبعية.
- نعم للتفاعل الفكري، ولا للغزو الفكري.
- نعم للاعتزاز بالدين، ولا للتعصب الأعلى.
- نعم للحوار البناء، ولا للتشكيك الهدام.⁴⁹

الخاتمة :

وهكذا يمكن القول أن هناك فروقا كبيرة وواضحة ما بين الإسلام والعلمانية إلى حد التناقض والتناكر بدليل فشل العلمانية في عقر دارها بعد أن سلخت المجتمع من قيمه الروحية والدينية ، وأصبحت هناك عادات وتقاليد بالية وسخيفة ما أنزل الله بها من سلطان ، حتى أنهم لم يتبعوا تعاليم الديانة المسيحية الحقة وللأسف انغمس بعض العلمانيون المتطرفون الإسلاميون حول الأخطاء التي ارتكبتها الكنيسة وأدت إلى التوجه نحو العلمانية، وهو ما لا يصلح إطلاقا للربوع والديار الإسلامية ، وهنا نشير إلى التفاف البعض حول أحزاب العلمانية التي تجاهر بعلمانيتها لمجرد انها تعد الناس بشيء من الرغد و تلوح لهم بحلول لمشكلة الغذاء و الكساء و المسكن ، ولو رُسِّخت حقائق الإسلام والولاء و البراء في النفوس ما التف حول هذه الأحزاب من الامة رجل واحد ، وكيف يرضى بموالاتها رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يتلو آناء الليل و النهار قول الله تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يُؤادُون ما حاد الله و رسوله ولو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) سورة المجادلة الآية 22. و أية محادة لله و لرسوله اكبر من أن تستعلن العلمانية بردها لشرائع الإسلام وتدعو بلا موارد لإقصاء شرع الله عن الحياة بفصل الدين عن الدولة. وأية محادة لله و لرسوله أكبر من منازعة لله تعالى في حق التشريع بالتحليل والتحريم.

أما أن لأهل السنة والجماعة أن ينتهبوا لهذه الأخطار الماحقة من الداخل و الخارج والتي تهدده في دنياهم وفي آخرتهم؟.

أما أن لهم أن ينضموا صفوفهم ويعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من عدة يرهبون بها عدو الله وعدوهم ؟.

وليعلم الجميع أن تعرية الانظمة العلمانية وكشف عمالتها و تأمرها على الشعوب الإسلامية خطوة على الطريق الصحيح وهكذا يمكن القول أنه بإحياء الشعائر الإسلامية والدفاع عنها من خلال الشريعة السمحاء والسنة المحمدية يمكن أن تعود الأمور إلى نصابها ولا يتأتى ذلك إلا بتضافر الجهود و إقناع ما يسمى بالعلمانيين الإسلاميين، خاصة وأننا نلاحظ خلال هذا العام دعوات صريحة لتبني العلمانية في إطار الإسلام، ولكن السؤال الملح هو: هل يمكن إقامة علمانية في إطار الإسلام ؟ وكيف ؟ وبأي وسيلة ؟. إنه التناقض بعينه أن يتأمر أبناء الإسلام على إسلامهم وشريعتهم وسنتهم المحمدية وأقوال الغربيين عن الإسلام

الحضارة الإسلامية تكفي لدحض آراء المتطرفين العلمانيين الإسلاميين ومحاولات تطبيقها دون جدوى على العالم الإسلامي وهذا الذي يريده الغرب واليهود لوقف زحف العالم الإسلامي في ربوع العالم. والدليل على ذلك إسلام الكثير من الكفار المسيحيين والملحدين و دخولهم في الدين الحنيف سواء في العالم الغربي أو في العالم الإسلامي.

الهوامش :

- 1 السيد أحمد فرج : علماني وعلمانية ، تأصيل معجمي ، مجلة الحوار ، عدد 2 ، القاهرة ، 1986 ، ص 101-110.
- 2 السيد أحمد فرج : علماني وعلمانية ، تأصيل معجمي ، مجلة الحوار ، عدد 2 ، القاهرة ، 1986 ، ص 101-110.
- 3 المصدر السابق : العدد التاسع عشر ص 439 والعدد الثامن والعشرون ص 912 .
- 4 أمين سامي باشا : تقويم النيل ، المجلد الأول من الجزء الثالث ، طبعة القاهرة ، 1936 ، ص 160
- 5 عبد الرحمن الرافعي : (عصر اسماعيل) 48-47/1 القاهرة 1948 ص ص 47-48
- 6 عبد الرحمن بدوي : (موسوعة الفلسفة) ، مادة أرسطو وطاليس ، بيروت ، 1984 ، ص 104-106.
- 7 علي عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم ، القاهرة ، 1925 ، ص 69.
- 8 طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر ، القاهرة ، 1938 ، ص 16-17.
- 9 المرجع السابق ، ص 21-22-23.
- 10 طه حسين : من الشاطئ الآخر ، نصوص الفرنسية التي جمعت وترجمت بعد وفاته ، جمعها وترجمها : عبد الرشيد الصادق المحمودي ، بيروت ، 1990 ، ص ص 191-192
- 11 طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر ، سبق ذكره ص ص 36-37 .
- 12 محمد عمارة : الإسلام والسياسة ، القاهرة ، 1993 ، ص 118-131
- 13 الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني : دراسة وتحقيق محمد عمارة ، القاهرة ، 1968 ، ص ص 196-197.
- 14 غريوار حداد : " العلمنة استراتيجية أم تكتيك ؟ " ، في مجلة آفاق ، عدد خاص ، جوان 1978 ، ص ص 64 - 93.
- 15 المصدر نفسه ، ص ص نفسها.
- 16 عصام خليفة : مدخل إلى تحديد العلمانية وتطورها في الغرب ، مجلة الجندي ، أبريل 1982 ، ص 24.
- 17 ياسين الحافظ : الأيديولوجية التقليدية الإسلامية والأيديولوجية التقليدية المسيحية ، في لبنان الآخر ، ص 2.
- 18 عصام خليفة : مدخل إلى تحديد العلمانية وتطورها في الغرب ، مجلة الجندي ، أبريل 1982 ، ص 24.
- 19 محمد الخضر حسين : العلمانية وضلالة فصل الدين عن السياسة ، دار الاستقامة ، بيروت ، 1982 ، ص 25.
- 20 هشام شرابي : المثقفون العرب والغرب ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ط1 ، 1981 ، ص 95.
- 21 " فتح الباري " (341/13).
- 22 رواه الهيثقي في " السنن الكبرى " (233/7) ، وسعيد بن منصور في " السنن " (167-166/1) .
- 23 ظهرت الدعوة للعلمانية في أوروبا للتخلص من ظلم رجال الكنيسة وتسلمتهم على كل شيء وفقا لشهواتهم ورغباتهم ، ومن هنا ظهرت الدعوة لفصل الدين عن الدنيا.
- 24 الخضر حسين : العلمانية وضلالة فصل الدين عن السياسة ، دار الاستقامة ، بيروت ، ص 37.
- 25 صحيح : أخرجه أبو داود (46/4) ، وصححه العلامة الألباني في " صحيح وضعف سنن أبي داود ".
- 26 محمد الخضر حسين : العلمانية وضلالة فصل الدين عن السياسة ، سبق ذكره ، ص 52-54.
- 27 أضواء البيان للشثقيطي 3 : 392.

- 28 صحيفة يديعوت أحرونوت اليهودية : عدد 18-03-1978.
- 29 سلطان بركاني : عندما يصبح العقل أسير الهوى ، الجزائر ، الشروق ، عدد 5773 ، 2018/03/20 .
- 30 السماح لمسجد برفع الأذان كل يوم جمعة في السويد : الجزائر ، الخبر ، 2018/05/10 .
- 31 دين ودنيا : السياسة الغربية و سياسة قريش : الشروق اليومي ، الجزائر ، عدد 5782 ، 2018/03/30.
- 32 المؤتمر العالمي للأديان بجنيف ندوة خاصة ، الخبر ، الجزائر ، العدد 8919 .
- 33 عبد الحكيم قماز : اتفاقية تعاون بين رابطة العالم الإسلامي و الفاتيكان ، الخبر ، الجزائر ، عدد 8857.
- 34 عبد الحكيم قماز : اتفاقية تعاون بين رابطة العالم الإسلامي و الفاتيكان ، الخبر ، الجزائر ، عدد 8819 .
- 35 أنظر فصل صناعة الزعيم من كتاب عندما يحكم الطغاة ، جريشة ، وفي ضلال القرآن : 86/8 الغربية : 16 والدبلوماسية الميكافلية ، محمد صادق 149.
- 36 المائة مشروع لتقسيم تركيا : جوفارولخصه الامير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي.
- 37 المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام : 174 من خلال كتاب الرجل الصنم.
- 38 مختصر دراسة التاريخ : 113/3 .
- 39 أنظر تاريخ الشعوب الإسلامية : بروكل مان ، فصل تركيا و الإسلام في الغرب ، جان بولرو 181 ، 186 ، والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية : 63-59.
- 40 أنجيل متى 5 : 42-40 .
- 41 محمد الغزالي : التعصب و التسامح 311-318 و اسبانيا أرضها و شعبها " الفصل الثامن دورثي لودر "
- 42 محمد شهدي : سقوط العلمانية ونهاية إسرائيل ، دار الرخاء للطبع و النشر ، بيروت ، بلا ، ص 57 .
- 43 صحيفة شيكاغو اليومية ، 1979 م .
- 44 العلمانية لسفر الحوالي.
- 45 محمد شهدي : سقوط العلمانية ونهاية إسرائيل ، سبق ذكره ، ص ص 119-120 .
- 46 السعودية تستقبل أمريكيين من رموز المسيحية الانجيلية ، الحياة ، 2018/11/03 العدد 1534 ، الجزائر ، ص 10.
- 47 إلهام صفرة ، أسلمت العلمانية أم علمنت الإسلام (تركيا بين الإسلام والعلمانية) // فكر ومجتمع ، طاكسي كوم للدراسات والنشر والتوزيع ، عدد 19 ، 2014 ، الجزائر ، ص ص 203-204.
- 48 إلهام صفرة ، نفس المرجع السابق ، ص 204.
- 49 المرجع نفسه ، ص ص 211-212.